من وصيّة الفقيه ابن حمزة الطّوسيّ لولده:

عليكَ بالفِقه، ولن يتيسّرَ ذلك إلّا بطَهارة الأخلاق

ابن حمزة الطُّوسيّ رحمه الله

الشّيخُ الفقيهُ المتكلِّم، أبو جعفر، عماد الدّين محمّد بن عليّ الطّوسيّ المشهديّ، المُشتَهر عند الفقهاء بـ «ابن حمزة الطّوسيّ»، من علماء القرن الهجريّ السّادس، ومن تلامذة الشّيخ أبي عليّ الطّوسيّ، نجل شيخ الطّائفة رضوان الله عليهم.

لم يُعرَف تاريخ ولادته، ولا تاريخُ وفاته رحمه الله، **لكنّ مرقدَه الواقع خارج النّجف الأشرف على الطّريق المؤدّي إلى مدينة الهنديّة (طويريج)، مزارٌ مشهور.**

له عدّة مصنّفات، جلُّها في الفقه، وأشهرُها (الوسيلة إلى نيل الفضيلة)، صرّحَ في مقدّمته أنّه صنّفَه لولده، وقد ضمّنَها وصيّةً أخلاقيّةً، هذا نصُّها:

بسم الله الرَّحمن الرَّحيم، أمّا بعد: حَمْداً لله الكريمِ الآلاء، العظيمِ النَّعماءِ، والصَّلاةُ على نبيِّه محمَّدٍ خاتم الأنبياء وسيِّد الأولياء، وعلى آلِهِ سادةِ الأتقياء، الأئمّة الهُداة النُّجباء.

فإنِّي أُوصيكَ يا بُنَيَّ بتقوى الله، والاعتصام بِحَبْله، والتَّمسُّكِ بطاعتِه، والتَّحرُّجِ عن معصيتِه، والإخلاصِ في العملِ بِما يُرضيه، والتَّوفُّرِ على التَّفكُّر في ما يزيدُ في معرفَتِكَ ويَقينك، ويُعينُك على أمورِ مَعادِكَ ودِينِكَ، ويمنعُكَ عن التَّورُّط في الشُّبُهات، ويَردَعُك عن التّميُّل إلى الشَّهوات، ويَزَعُك [يكفُّك ويمنعك] عن رُكوب المَحارم، ويَكبَحُك عن التَّسرُّع إلى المآثم. وإيَّاك وغفلة الاغترار، وفترة الإصرار، وعليكَ بالاستعانة باللهِ سبحانه على أمورِ دِينِكَ ودُنياك، فإنَّك إنْ توكَّلْتَ عليه كَفاك.

القرآنُ والسُّنّة

وعليك بتِلاوةِ كِتابه في آناءِ لَيْلِك ونهارك، وحالتَيِ استقرارِكَ وأسفارِكَ، فإنَّ ذلك شفاءٌ لِما في الصُّدور، ونورٌ يوم النُّشور، ونجاةٌ يوم تَزِلُّ فيه الأقدام، وتُقتضى فيه الأحكام. وعليك بالعمل بِما فيه، والتَّنبُّه على ما في مَطاويه، فإنّه «**شافِعٌ مشفَّع، أو (و) ماحلٌ** [الماحل: الخصم المُجادِل] **مصدَّق**».

وعليك بِسُنَّة نبيِّه محمَّدٍ صلى الله عليه وآله فإنَّها جلاءُ القلوب، واستراحةُ الكُرُوب، وعليكَ بِما سَنَّ لك الأئمَّةُ الهُداة. فإنَّهم إلى الجنَّةِ الدُّعاةُ، ومن النَّارِ الحُماةُ. وعليك بِسِيرة الصَّالحين، والاقتِناصِ من شوارِدِهم، والاقتباسِ من فوائدهم. والاشتغالِ بنفسِكَ عن غيرِكَ، والتَّوفُّر على الإكثار من خَيْرِك. وليَكُن ما تَعرِف مِن نَفسكَ شاغلاً لكَ عمَّن سِواك، فتحمد مُنْقَلبكَ ومَثواك. وعليك بالإكباب على طَلَبِ العلوم، فإنَّه أرجحُ ميزاناً، وأنجحُ أمراً وشأناً. وليس يُمكنك البلوغ إلى نهايتِه والوصول إلى غايتِه، فعليك بما هو أكثر فائدة، وأَغْزَر عائدة، وأَعْوَد عليكَ في أُولاك وأُخراك، ودُنياكَ وعُقْباك.

عليكَ بالفِقه

وعليكَ بالفِقْهِ، وعليكَ بالفِقْهِ، وعليكَ بالفِقْهِ. فإنَّه شرفٌ لك في الدُّنيا، وذُخْرٌ لك في الآخرة. ولن يتيسَّرَ لك ذلك إلَّا بِحُسن السِّيرة، ونقاءِ الجَيْبِ، وطهارةِ الأخلاق، والتَّوقِّي من العَيْبِ، وإقامةِ دعائم الإسلام، والإذعان لِقَواعدِ الأحكام، والتّعظيم لأمرِ الله؛ فإنَّ اللهَ سبحانَهُ لم يَخلُقِ الخَلْقَ عبثاً، ولم يَترُكهُم مهملاً، بل خَلَقَهُم لِيبلوَهم أيُّهم أحسن عملاً، وعَلِمَ ضمائرَهُم وخَبر سرائرَهم، وأَحْصى أعمالَهُم، وحَفِظَ أحوالَهُم. واحتجَّ عليهم بإرسال الرُّسُل مُبشِّراً ومُنذراً، وبإنزالِ الكُتُب آمراً ومخبراً وداعياً وزاجراً، ولله الحُجَّةُ البالغةُ، والنّعمةُ السَّابغةُ، ولَه الحمدُ على نِعَمِه، والشُّكرُ على فَيْضِ كَرَمِه، حَمْداً وافياً، وشُكراً كافياً.

ثمَّ إنِّي رأيتُ أنْ أجمعَ لكَ كتاباً في الفقه لتَحفَظَه، على ترتيبٍ يُسَهِّلُ على المتيقِّظ الشُّروعَ في التّحفُّظ. وقد بيَّنتُه على بيانِ الجُمَل وحصرها، ونَظْمِ العقود ونثرِها، وانقسام أبوابه على التّمييز بين الواجب والمَنْدوب، والمَحْظور والمكروه، والفعل والتَّرك، والكيفيّة والكمّيّة. على وجهٍ لا يَلحقه خَلَلٌ، ولا يَبلغ طالبه مَلَلٌ، وقد سمَّيتُه بـ (الوسيلة إلى نَيْلِ الفضيلة) مستَمِدّاً من الله تعالى التوفيق.

وصيّة أُستاذ لتلميذه:

حافِظ على العِلم، بالتّقوى واجتناب المعاصي

ابنُ أبي جمهور الأحسائيّ رحمه الله

الشيخ محمّد بن عليّ بن إبراهيم، المعروف بـ «أبي جمهور الأحسائيّ» المتوفّى بحدود سنة ٩٠١ للهجرة، صاحبُ المصنّف الشّهير (عوالي اللآلي)، و(الأقطاب الفقهيّة) وغيرهما.

ترجمَ له المحدّث القمّيّ في (الفوائد الرّضويّة)، و(الكُنى والألقاب)، وذكر قسماً من وصيّته للشّيخ ربيعة بن جمعة، المدرجة ضمنَ إجازته له، وقد أوردَ العلّامة المجلسيّ في الجزء ١٠٥ من (بحار الأنوار) متنَ هذه الإجازة، والنَّصُّ التّالي منقولٌ عنها:

..عليكَ برعايةِ العلم والقيامِ بخدمته، وإيّاك وتدنيسه بالطَّمع والخُرْق، [فتهتكَ] بذلك حُرْمَته "..." فَصُنْهُ يا أخي كلَّ الصّيانة، وأَقِمْ جَاهَهُ من الاجتهاد في الدِّيانة. وعليك بالجدِّ في طلبِه وتحصيلِه، ولا تملّ من السُّؤال عنه لتكميلِه، فقد رويَ عنه صلى الله عليه وآله أنّه قال: «**لو عَلِمَ النّاسُ ما في طلبِ العلم، لَطَلبوه ولو بِسَفْكِ المُهَج..**» "..."

وإيّاك وكتمانَ العلمِ ومنعَه من المتعلِّمين، فقد قال الله تعالى ﴿**وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ لَتُبَيِّنُنَّهُۥ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُۥ..**﴾ آل عمران:١٨٧، وقال رسول الله صلى الله عليه وآله: «**إذا ظَهَرت البِدَع في أمّتي فليُظْهِرِ العالِمُ عِلْمَه، فمَن لم يفعَل فَعَليه لعنةُ الله**»، وقال أيضاً: «**مَن كَتَم عِلماً نافعاً أَلْجَمَه الله يوم القيامة بِلِجامٍ من نار**»، وقال الإمام عليّ عليه السلام: «**ما أخذ اللهُ على الجهّال أن يتعلّموا حتّى أخذَ على العلماءِ أن يُعلِّموا**».

وإيّاك أن تبذلَه في محلِّ المَنْع، وإنّه عند الكلِّ مذموم، قال سيِّدُ البشر صلى الله عليه وآله: «**لا تُؤتوا الحكمةَ غيرَ أهلِها فتَظلموها..**»، وقال أيضاً: «**لا تطرحوا الدُّرَّ في أفواهِ الكلاب**». "..."

وعليك بكَثرة الدّرس والمذاكرة، فإنَّ العلمَ ميتٌ وإحياؤه الدَّرس، والدَّرسُ ميتٌ وإحياؤه المذاكرة، قال الإمام جعفر بن محمّد الصّادق عليه السلام: «**تَلاقوا، وتَحادثوا العلم، فإنّ بالحديثِ تُجلى القلوبُ الرّائنة، وبالحديثِ إحياءُ أمرِنا، فَرَحِمَ اللهُ مَن أحيا أمرَنا**».

وعليك بالحفظِ والتّذكار، فإنَّ خيرَ العلم ما حواه الصَّدر "..." فَكُنْ في جميعِ الأحوال مُراعياً له مُقبلاً عليه، فإنَّ آفةَ العلم النّسيان، ولا تتّكل على جَمْعِه في الكُتُب، فإنّها موكّلٌ ضايع "..." وإذا أنعمَ اللهُ عليك بتلك النّعمة الجليلة، واقتناءِ تلك الفضيلة، حافِظْ معها على تقوى اللهِ وتَرْكِ محارمِه، لأنَّ ارتكابَ معاصيه مُوجِبةٌ لزوال النِّعَم "..." قال النّبيّ صلى الله عليه وآله: «**أَدِمِ الطّهارة، يَدُم عليك الرِّزق**».

حقوقُ المعلِّم

وأُوصيك بما يتعلّقُ بأُستاذِك ومعلِّمك، وهو أن تعلمَ أوّلاً أنّه دليلُك وهاديك "..." والّذي كدَّ نفسَه في [إرشادِك] إلى الطّريق حتّى عرفْتَ مَسْلَكَ الحقِّ بالتّحقيق "..." فَقُمْ بِحَقِّه كلّ القيام "..." [و] إذا دخلْتَ مجلسه فَقُم بالسَّلام، وخُصَّهُ بالتَّحيَّة والإكرام، وتجلسْ أينما انتَهى بك المجلس، و[توقّر] مجلسَه، فلا تُشاور فيه أحداً، ولا ترفع صوتَك على صوتِه، ولا تَغْتَب أحداً بحضرتِه. ومتى سُئِلَ عن شيءٍ فلا تُجِب أنت حتّى يكون هو الذي يُجيب، وتُقبل عليه وتُصغي إلى قولِه وتَعتقد صحّتَه، ولا تردَّ قوله، ولا تُكرِّر السُّؤالَ عندَ ضجرِه، ولا تُصاحِب له عدوّاً، ولا تُعادِ له وليّاً، وإذا سألْتَهُ عن شيءٍ فلم يُجبك فلا تُعِدِ السُّؤال. وتَعُودَه إذا مرض، وتسأل عن خَبَرِه إذا غاب، وتشهدَ جنازتَه إذا مات، فإذا فعلْتَ، عَلِمَ اللهُ أنّك إنّما قصَدْتَهُ لتستفيدَ منه تقرُّباً إلى الله، وطَلَباً لِمَرضاتِه، وإذا لم تفعل ذلك، كنتَ حقيقاً أن يسلبَكَ اللهُ تعالى العلمَ وبهاءَه.